



عن أبعاد البطولة والمقاومة في الشعر العربي

- ١ -

وفي لحظات التمرد الجماعية يستطيع هذا الشعر - الى حد ما - استنفار مجهوعة النشاطات الطبيعية الدفينة ، والتي تبدو متناقضة ظاهريا ، كما ينبغي صيانة تراث القيم التي كرس التيسار الثوري الشعري نفسه لها وليس مجرد انها تشكل اثناء ميدان المعرفة ، وانما لان التيار الايديولوجي الثوري - الذي يبرز خارج الشعر - يصبح - من اجل الالتحام بالشعر - قاعدة استناد فوق صيرورة هذين التيارين متخذا بنظر الاعتبار منجزات نظرية تستطيع ان تمارس عملها بحد وسطي من الضرورة ، وبعبارة اخرى بحد وسطي من الشرعية ، وفي مثل هذا الشرط يستطيع الشعر ان يكون عنصرا فعلا في واقع الحياة ..» (٢)

ولكي تؤكد ضرورة ان يكون الشعر عنصرا فعلا في الواقع ، يمكننا الاستشهاد - في التعميم مثلا - بشعر المقاومة في فلسطين المحتلة - بالذات - وتأثيره الفعال على واقعا العربي ، وانسانا العربي خاصة بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ .. وبالضرورة فان انتشار وترجمة هذا الشعر يستهدف - اذا استثنينا الروح التجارية لدى بعض الناشرين - الاسهام في تغيير بنية العلاقات ليس على الارض المحتلة ، وحسب ، بل في البلدان العربية والعالم .. اذا استمر يحمل رؤاه الثورية الاصيله ذاتها ، النابعة من ارض نضالية - هي فلسطين المحتلة - ومن الايديولوجية العلمية - هي الماركسية اللينينية في الغالب - لذا فان هذا الشعر - وعلى الصعيد الواقعي - يلتحم « كواسطة للتعبير وكنشاط روحي » وانساني - ضمن ديالكتيك معقد يجعل من الشعر ذلك الالتحام الواعي بين ما ضمير منه وما ظهر .. « بالاضافة الى الصفة التي تمنحه صوته المميز ولقته المختارة » كشعر نضالي يجسد « ابعاد البطولة » الحقيقية ، ليس على الارض المحتلة ، وحسب ، بل على كل الارض التي يناضل فيها الانسان من اجل تغيير بنية العلاقات الانتاجية والاجتماعية ، ومن ثم تغيير العالم .. ان تغيير الانسان ، وتغيير العالم ، هما سمتان من سمات الرؤية الثورية في الشعر العربي في فلسطين المحتلة ، وفي النضال .. لذا فلكي نضع نصب اعيننا ، هذه المسألة ، نحتاج - بالضرورة - الى فهم علمي سليم لكل جوانب ومعطيات وبيدات واهداف الحركة الشعرية ، ليس محليا او عربيا ، وحسب ، بل وعالميا ، التي تتمثل فيها روح المقاومة ..

لان لفة الشاعر هي « عنصر حي وغالبا ما تكون في حالة تفسير وخلق لانها حقيقة اجتماعية ..

حين يكون الشعر تجسيدا مكثفا ومرهفا للانسان وطبيعته ، فهو يتحد بكل ارهاصات الحياة ، والكون .. الشعر يتحول . هنا ، الى ملقط انساني يتناول ابرز مشاكل الانسان وتطلعاته .. ويحيلها الى جمرة متقدة ، تثير واتوقد العديد من ظلمات الارض ، ونظورها .. اذ ان الشعر في هذه الحالة ، يكون فعالية انسانية مؤثرة ، ومتفاعلة مع الوجود الانساني عموما .. « ان الشعر يجسد الانسان وطبيعة الانسان الذي بيننا ، والذي اخذ على عاتقه هداية نفسه والاخرين الى حيث تتفتح بأوسع آفاقها ، ملكاته العميقة . (١) وهذا الفهم المكثف الذي يطرحه تريسنان تزارا (٢) لوظيفة الشعر الانسانية ، هي تجسيد حي لارتباط الشعر ، كعالم ، بملكات الانسان الشاعر ، وانفتاح آفاقه ..

واذا اخذنا شعر المقاومة ، وفق هذه المقولات ، نرى ان قضية شعر المقاومة تكتسب بعدا اناسيا وفنيا في ذات الوقت ، اذا لم تعزل الشعر ولا الشاعر . عن الظروف المادية والذاتية المحيطة بهما والمثارة والمؤثرة فيهما ..

وسيكون « من الشطط الاعتقاد » - كما تحدث تزارا عن تجربته الشعرية ابان المقاومة الفرنسية - « بانني اعطي لشعر المقاومة قيمة تزيد على القيمة التي اثبتت جدارتها تاريخيا ضمن لحظة شامخة بشكل خاص ..» لماذا ؟

يقول تزارا : « ان التزاوج بين الشعر والنضال - وهذا ما يفعله شعراء الارض المحتلة عمليا - ليس بذئ قيمة الا بالنسبة لأولئك الذين يتنبجون مهمة هاتين الصبوتين وفقا لامكانياتهم الحيانية المتفاوتة حتى الحد الذي يختفي فيه « التعليق ليفسح المجال للحقيقة بكل سؤدها ..»

وكما تؤكد الحياة ، عندنا ، وعلى الارض المحتلة ، يبقى لشعر المقاومة اهمية خاصة .. اذ « ان اهوية هذا الشعر تنبع من البرهنة على ان شرعيته وصحته تستطعمان الاستجابة في بعض الحالات الى ضرورات جماعية مثلما تستجيب التجربة الشعرية بصورة عامة لضرورات الفرد .. ان مثل هذا الشعر لا يلتصق بالحدث فقط ، انما يندفع كليا معه . انه بالنسبة للحدث - دعم فعال في الوقت نفسه الذي يعاني فيه ، منه .. ومن شروطه المعطاة من قبل مكوناته .

يضع سبب وجود « ابعاد البطولة » - خارج ميدانها السليم - و « تعدد الجهات التي يناضل عليها الانسان العربي » - وهذا صحيح - ثم ليعود يناقض نفسه في اعتبار « شكل » الصراع بين الشرق العربي والاستعمار الغربي ، إنما هو « مضمون » « الصراع اليومي بين دولة عنصرية غاصبة وشعب مغلوب على امره .. » هو عنصر « تفهم » شعر « المعارضة » كما يسميه ، في الارض المحتلة ، وشعر « الاحتجاج » كما يسميه آخرون .. فذاك ما نختلف واياه به ..

- ٣ -

اولا : ان افق الصراع العربي - الصهيوني ، هو افق اوسع من الرقعة الفلسطينية .. اذ هو الصراع بين الشعوب العربية المحبة للحرية والتقدم والاشتراكية ، وبين قوى الامبريالية والاحتكارات في العالم اجمع ..

وبهذا يخرج طابع الصراع من « شكل » المعارضة للدولة - اية دولة كانت اسرائيل او السعودية او غيرها - الى « مضمون » العمل الثوري المنظم ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية وركائزها .

ثانيا : ان اساليب الكفاح - المقاومة - تعددت بتعدد طبيعة الملاكات الثورية ، والمناطق الثورية ، والامكانات الجماهيرية .. بدءا من الكتابة على الحائط وحتى الكفاح المسلح .. ثم بالمقابل تنسوع وازدياد وتيرة التحشيد العسكري والمساعدات الامبريالية للجيش الاسرائيلي ثم لاقتصاديات الحرب لدى اسرائيل ، وعموم تصنيفهما ، وتخطيطها ، بل وعلمية اساليبها في الواجهة والتوسع والاستيطان والعدوان ، سياسيا وفكريا ، وعسكريا واعلاميا .. واقتصاديا .. ومن هنا فالشعراء ، والشعر المقاوم ، ظلا يلزمان الثورة - كطريق اوحده - بدءا باساليب الكفاح التمهيدية ، وانتهاء بمرحلة التحرر الناجز .. ليس في فلسطين المحتلة ، وحسب ، بل في كل شبر من الوطن العربي ، فالشعر الفدائي الثوري ، هو الشعر الذي جابه ويجابه الاحتلال والفسف والاضطهاد والحكم الديكتاتوري ، بل وكل اشكال التسلط والبيروقراطية ، والاجهزة التي تعيق وتعرقل مسيرة الثورة العربية الطافرة ، في هذا البلد العربي ، او الجهاز التنظيمي او الفئة السياسية .. او ذلك ..

وثالثا : ان العمل الفدائي هو جزء من العملية الثورية ، في الوطن العربي ، والعالم .. ويكتسب الفدائي صفة الثوري حين يمتلك نظرية ورؤية ثوريتين . « فالعمل اعمى بدون نظرية مرشدة » لكيما يستطيع العمل الفدائي تخطي المرحلة ، واكتساب صفة الشمولية والنظرية المستقبلية في البناء ، بعد الهدم ، وفي التحرر بعد الاحتلال ..

ورابعا : ان الادب المقاوم هو ناتج طبيعي للشعب المقاوم . مهما تعددت جهات الارض ، واختلفت - نوعيا - فثمة ادب مقاوم في العراق منذ ثورة ١٩٢٠ (٦) .. وثمة ادب مقاوم للحكومات والعقليات الديكتاتورية والفاشية ، وغيرها حتى بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ، عندنا .. وفي ج.ع.م ثمة ادب مقاوم حتى بعد ١٩٥٢ ، وللان .. لكل سلبيات الواقع المجتمعي الذي تركته سنوات الاحتلال والاستعمار والملكية والبيروقراطية والتسلط ..

ان المقاومة والفداء . عمليتان حضاريتان .. بمعنى ان العمل الفدائي ، او المقاوم يسعى من اجل ازالة واقع سلبي ، وبهذا يحقق بالمقابل - كبديل - واقعا ايجابيا ، او يسعى لذلك .. ليس عبر الحلم الثوري - وحده - بل عبر الواقع الثوري ، عبر عملية التفسير .. وبهذا فهو يضيف حضاريا ، اضافة انسانية لمجموع التراث البشري ..

لذا ففي تناول مسائل الشعر والمقاومة ، في الارض المحتلة .. من الضروري الانصاف بالموضوعية والوعي الكامل لابعاد القضية الفلسطينية ، بل وقضية الثورة في الوطن العربي - عموما - .. والمبدأ الاساسي الذي يمكن الركون اليه في خلق الاستنتاجات لابعاد المقاومة ، او ابعاد البطولة في شعر المقاومة ، هو دراسة الارضية الفكرية التي انطلقت منها الكلمة - البندقية .. وعلى الصعيد العربي . فالاشكال الجديدة التي فرضتها مرحلة ما بعد الخامس من حزيران ٦٧ .. في تطوير اساليب النضال من اجل تحرير الارض المحتلة ، وخلق البديل الثوري : دولة فلسطين الديمقراطية الحرة .. ليست « اشكالا لمضمون الصراع اليومي بين دولة عنصرية غاصبة وشعب مغلوب على امره .. » (٤) .. بل هي انعكاس مرحلة التحرر الوطني الفلسطيني في ارتباطها الفصوي مع حركة التحرر العربية وحركة التحرر في العالم اجمع .. هذا الانعكاس والتفاعل ، حمل « ارادة التفسير » في الوسائل والاساليب ، ووضع لبنات فكر ثوري - بعض اجنحة العمل الفدائي - ومشاريع ثورية ، حتى لمرحلة ما بعد التحرر .. وبذلك اكتسب العمل الفدائي طابع الثورية الاصيل ، ايضا ..

لذا فان تقسيم وتصنيف الثورة وقواها ، والمقاومة وابعادها في الارض المحتلة ، على اساس اجتهادات فردية قلقة ، ومتضادة ، لا تدل على فهم واع لابعاد الواقع النفسي وواقع التجزئة ، ولا للبديل الثوري الذي طرحته الرؤية الجديدة للعمل الفدائي ، في الارض المحتلة ..

بل ان اعتماد فكر المقاومة ك « شكل » نضالي « للمعارضة » او « الاحتجاج » منطوق فيه الكثير من التجني لتاريخ وجدور وفكر العمل الفدائي والمقاومة ، ابتداء من منظمة جبهة الارض ومثل ذلك ، منذ الثلاثينات ، وحتى يومنا هذا ...

وان « تعدد ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية المعاصرة » (٥) هو ناتج طبيعي - باعتقادي - لوجود انظمة حكم متباينة ، وبنيات اجتماعية متباينة ، ايضا .. واستقبالات وردود فعل نفسية ومصليحية للعمل الفدائي ، متباينة .. كذلك .. في كل بقعة من ارضنا العربية .. وبالمقابل لوجود حركات ثورية وجماهيرية متباينة ومتشعبة وذات منطلقات ورؤى تكتيكية وسترراتيجية مختلفة ومتصارعة .. ومن هنا ، لا يمكن اعتبار شعر المقاومة شعرا « معارضا » او « احتجاجيا » - حتى على الارض غير المحتلة - بل انه شعر مقاوم يمتد نظريا في تاريخ النضال العربي ، منذ الاربعينات ، بل انه ليتمدد منذ العشرينات على وجه التخصيص - في تاريخنا الحديث - (في العراق منذ ثورة ١٩٢٠ وفي مصر منذ ثورة ١٩١٩ وفي الجزائر منذ حركة عبدالقادر الجزائري . الخ) وقبل ذلك في تاريخ الادب العربي القديم ، على مر الدهور ..

وان شعر المقاومة لا يقف عند حدود - الشعر الفلسطيني - قطعا .. بل ان الشعر الفلسطيني اكتسب أهمية خاصة ، عبر تعميقه لرؤاه الثورية ، قبل وبعد ه حزيران ، حين تبلور اتجاه درويش - زياد - القاسم .. كشعر ثوري ، وليس شعرا بكائيا كشعر فدوى طوقان - قبل ه حزيران - وبالذات قبل ديوانها « الليل والفرسان » ...

بل ان شعر المقاومة الفلسطينية ، يتصل حضاريا ، ونضاليا بالشعر العربي الثوري ، وشعر حركة الشعوب المحبة للحرية والسلام في العالم اجمع .. انه شعر عربي ، واممي ، في الوقت نفسه ..

ولو كان التطبيق الفردي لقيم الشعر الذي يسمى لتطبيقه كاتب كفالي شكري ، يحقق الفداء السليم في الهدف والنوايا والمنطلقات ، لما وجدنا ضرورة لهذه المقالة .. ولكن لكون الكاتب

اما اليهود الذين نزحوا بشكل او باخر الى فلسطين ، من منطلق الدعوة الصهيونية لخلق فلسطين كارض للميعاد . فهم استعماريون شاءوا ام ابوا . . وهم الفصيل الثاني - المستعمر . . . لكن الفصيل الاول ، لا يمكن شطبهم وشطب وجودهم في حالة اعتبار قضيتنا الاساسية ليست قضية محو شعب او قوميات ، بل محو كيان احتلالي (صهيوني - امبرياليستي) ، وتحرير الارض والانسان في فلسطين والارض المحتلة كلها . . .

لذا فان الخلط بين الصهيونية - كمنهج عنصري استعماري - وبين اليهودية - كدين - من جهة وبين العرب سكان الارض الاصليين ، وبين النازحين اليهود - بدافع استيطاني او ديني - عنصري - نجد ان - ديالكتيك - الكاتب « شكري » لم ينفذ . . . اذ - حتم - ان « شكل نضال شعراء الارض المحتلة » هو « شكل المعارضة . . . » لا غير ! . . . وايداه بعض الاخوة في العراق !

اما اذا رفض شعراء الارض المحتلة « شكل » « مضمون » الوجود الاسرائيلي ، وارادوا خلق البديل الثوري وهو : دواصة فلسطين الحرة الديمقراطية ، التي يتعايش فيها العرب المسلمون واليهود والمسيحيون ، بشكل متكافئ . . . فان حالة الرفض هذه التي تجد شكلها الواضح ليس في اشعارهم فقط ، بل في نضالهم اليومي وصمودهم أيضا ، لا تتخطى حالة « المعارضة » - كما يشر الكاتب - فالوقائع تفند هذا التخريج والتكليف السياسي . . .

- ٥ -

كيف ؟

في مقابل عدائنا - كماركسيين - للصهيونية . وتمييزنا بين اليهودي الذي لا نعادي يهوديته المحضة . الا اذا تحول الى صهيوني - اقول ، مقابل ذلك « لا ينبغي لهذا الحرص الحق على النظر الى الاشخاص كل على حدة ، وعلى احترام كل انسان وقيمه اللامتناهية ، ان يعطل الكفاح من اجل تنظيم اكثر انسانية للعلاقات الاجتماعية » (٧) .

لذا فان المناضل الثوري في فلسطين والارض المحتلة يلجأ الى اساليب عديدة في الكفاح . « فمشكلة الوسائل » في الكفاح الضروري من اجل تغيير بنية وتركيب « شكل » « مضمون » الدولة فني فلسطين و« شكل ومضمون العلاقات القائمة ، لايجاد البديل الثوري ، تطرح نفسها على اليهود ، تماما ، كما تطرح نفسها على الماركسيين العرب . . . ولا يملك اليهود « الا ان يتجنبوها لانه لا خيار لنا - ولا للمقاومين العرب - (٨) ابدأ بين العنف واللاعنف . . . فنحن في قلب المعركة ، واستنكافنا او التزامنا ، يلعب دوره في ميزان القوى ، ولان نستنكر عنف العبد الذي يتنرد ، موقف يجعلنا شركاء في العنف المستمر الذي يمارسه السيد الذي يضع الاغلال في قدميه . . . فاذا كان اليهود « يرتضون ان يكونوا جنودا » ضد العرب « فلم لا يكونون مقاتلين في صف « المقاومة » او مناضلين ثوريين » ضد اسرائيل ! ؟ . . . « انهم اذا رفضوا ذلك فليس « الوسائل » ما يرفضون ، ما داموا كجنود قد ارتضوا العنف . بل « الهسد الثوري ذاته » . . . وبذلك فهم يخرجون - في هذه الحالة - من موقف اليهود ، المحض ، الى اليهود الصهاينة . . . وبذلك لا يمكن التساهل - هنا - معهم من منطلق النظرة الدينية و« التسامح الديني » : « فان التاريخ قد علم الماركسيين الا يتخذوا بالموقف الديني المحض ، موقف العداء » تجاه العرب ، وتجاه المسلمين عموما ، وتجاه الشيوعية ، مثلا : « لانه حصيلة الخلط بين الاخلاق والمنطق وزعم قدرة الايمان على ان يوفر مباشرة ، اشكالا ذات طبيعة سياسية واجتماعية ، دون الاعتراف باستغلال ذاتي للحياة الدنيا . وبانه لا بد من استخدام مكتسبات المعرفة العلمية الخالصة ليستطاع الى اصدار حكم على « شكل » من اشكال العلاقات الاجتماعية او على نظام سياسي . . .

لذا فان الصيحة - النشاز - التي تطلق هنا وهناك ، لرفض شعراء المقاومة في الارض المحتلة ، والتقليل من أهمية شعراء الارض المحتلة ، واعتبار هذا الشعر ، وهؤلاء الشعراء « معارضين » فقط . . . بل ان الجانب المتهم - كغالي شكري وبعض الادباء في العراق - يعتبرون انفسهم - ماركسيين وثوريين . . . وهم في الموقع العلمي ، بصف الرجعية الفكرية ، حتى مع كل صيحات التجديد التي يطلقونها تقليدا ، وليس أصالة ولا وعيا ، ولا تخطبا . . . وبذلك يضمنون - المسطرة - « التجديدية » التي يقيسون كل شيء وفقها ، ان يكون الشعر « ادونيسيا » - مثلا - فهو تجديدي ، والا . . . فهو مرفوض لانه « لا ينثني على العالم » . . . وما شابه !

هؤلاء رجعيون ، بسبب كونهم يطلبون - بوصاية ما - من كل الشعراء ان يكونوا شعراء « هواء العالم » و« المخلوقات الجميلة » وغير ذلك . . . والا فهم « منعزلون » عن حركة « التجديد » التي يفتح ابوابها ، بعد ان اوصدها رياح العالم ، بعض الفتيية عندنا - رغم كل تطلعات الشباب المشروعة في التجديد والتجريب والمنازة الشعرية - بعد سنوات من تخلي روادها الاوائل الذين طلق اغلبهم السريالية والدادية وكل هوس الشكل المحض . . .

- ٤ -

لذا فالادب المقاوم هو الذي يرفض كل الركام السلبي من موروثات العهود الماضية ، او كل الاساليب التي تقف ضد ارادة الشعوب في تغيير العالم . . . وهذا الادب ما دام يحمل ارادة التغيير والثورة ، فهو لا يفلسف العالم ببؤس ، وهكذا يكتسب الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة ، صفة المقاومة ، كذلك الشعر العراقي والمصري . . . على كل الجبهات العربية - مع تعددها . . .

اذن ، ليس المهم ان نعيش كما نعيش ، بل المهم ان نفكر كيف يجب ان نعيش كما يجب « كما قال عمر فاخوري يوما . . . واضيف وان نعمل لكي نحقق العيش كما يجب ، بهذه السعة التي تتحملها « ابعاد » كلمة « مقاومة » من مضامين . . .

فالمقاومة لا تعني ولا تتمدد بافك الكفاح ضد المحتلين الاجانب ، وحسب ، بل تتسع لتشمل كل سليات الحياة والانظمة والحكومات . . . الخ . . . من اجل بناء المجتمع الفلسطيني السعيد في دولة حرة متحررة . . . لذا فان اقرار بقاء « دولة اسرائيل » هو موقف رجعي . . . اذ انه ينبغي اي تطلع لايجاد دولة فلسطين الديمقراطية الحرة ، لان اسرائيل وجود احتلالي ، توسعي ، عدواني . . . وهو يرتبط - ككيان - بالامبريالية العالمية . . .

لذا فان اقرار وجود « شكل » دولة اسرائيل - كامر واقع - يكون من الطبيعي على فهم غالي شكري : ان يكون « شكل » النضال العربي ، شعرا او سلوكا ، وحتى كفاحا مسلحا ، هو « شكل المعارضة » !! . . .

ومع ادراك ان الفدائي المعاصر لم يعتبر وجوده ، يوما ، داخل فلسطين المحتلة « امرا طبيعيا » فهو لم « يتعاش » ايدولوجيا . او نفسيا ، او اجتماعيا مع نظام الحكم الصهيوني الاستعماري . . . بل ولم يقر يوما اية مشروعية لهذا النظام في اي عمل يتخذه . . . فكيف يمكن ان يتحول شعراء الفصائل الثورية من المقاومين - داخل الارض المحتلة - الى « شكل معارضة » !؟ . . .

وحتى لو اخذنا كلمة « معارضة » بحدها الاستقطابي الادبي ، فهي تجمع محورها جهة عريضة من الناس داخل فلسطين المحتلة : عربا وغيرهم (مسلمين ومسيحيين ويهودا يقطنون فلسطين قبل الاحتلال ولم يغادروها) ويهودا ، يعارضون طبيعة الحكم وتركيبه وسياسية ممن جاءوا بدوافع غير استيطانية الى فلسطين . . . وهم الفصيل الاول من سكنة الارض العربية المحتلة . . .

وما يكرهه الشيوعي - وهذا ما يحدث لشعراء المقاومة . في فلسطين المحتلة (٩) في المؤسسة الدينية ، هو ذلك الرباط الذي يجعلها في تحالف « مع مضاد الثورة .. (١٠) مع اعداء الانسانية واعداء العروبة واعداء حرية فلسطين كوطن اصيل للعرب ..

- ٦ -

شعراء الارض المحتلة غرباء في وطنهم .. كيف ؟ .. انهم ليسوا « منفصلين عن الطبيعة عن طريق العمل والانتاج .. » (١١) وحسب ، بل وان غربتهم من نوع احد واعمق .. اذ مع ان الارض كانت ارضهم ، كذلك الطبيعة .. لكنهم لا يحققون الانتماء مع المجتمع عبر علاقات العمل والانتاج .. انهم يلتحمون مع الشعب الفلسطيني ، بل مع الشعب العربي بخاصة . وشعوب العالم المتحررة والمناهضة للاحتلال والامبريالية والصف ، عموما .. لذا فهم يكتسبون القرية داخل ارضهم . بمعاناة جديدة ، انهم يحسون ان « هذه القرية ضرورية - كما يقول آرنست فيشر - لتطور الانسان ، ولكن لا بد من التقلب عليها باستمرار .. وذلك حتى يعي الناس كيانهم اثناء عملية العمل، وحتى يجدوا انفسهم مرة اخرى ، في نتاج عملهم ، وحتسى يوجدوا - وهذا هو المهم في شعر شعراء الارض المحتلة - اوضاعا اجتماعية جديدة لا يكونون فيها عبيدا لانتاجهم بل سادة له .. »

ومن اجل هذا ، فان محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغيرهم .. حماؤا جوازات سفر اسراييلية ، وهم فلسطينيون عسرب للامعاق .. وذهبوا ليمثلوا « غربتهم » ويعكسوا تقربهم - في ارض الميعاد !! - عبر مهرجان صوفيا العالمي للشباب ..

ان هذا الرفض للتغريب ، هو انعكاس وضعية الاضطهاد على الارض المحتلة . وان الحصول على جواز سفر اسراييلي هو دلالة جديدة تضاف الى دلالات الاضطهاد ، وتعمق فتاعة الرأي العام العالمي بأحقية الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه وهويته وشخصيته الكاملة على ارضه ووطنه .. اذ ان الصهاينة ينفون ان يكون هناك شعب فلسطيني، وهم يحاولون طمس كل معالم هذا الشعب العربي .. لذا فهم يعطون لدرويش والقاسم وزياد .. جوازات سفر (غير فلسطينية) امانا في اضطهادهم وشويه هويتهم الفلسطينية ..

والشاعر يعاني هذه القرية القسرية ، اضافة الى صعبات الاضطهاد الاخرى .. ومع ذلك .. يأتي البعض فيسهمون - مسع الصهيونية - شاعوا ام ابوا .. لتعميق هذه القرية القسرية ، حين يضعون اسلاكها شائكة جديدة على عناوين واسماء وشعر وسلوك هؤلاء المناضلين الفلسطينيين الذين يواجهون ظرفا اسوأ من الموت .. اذ يلتقي الذين « انتفضوا بهستيرية » ينتهون ويشتمون ضد شعراء الارض المحتلة مع الصهاينة في محاولة سحق الشخصية العربية الفلسطينية المقاومة ، بالذات ..

بل ان غرض اجهزة الاعلام الصهيونية ، خلق عناصر التشكيك بجدوى وجود شعر المقاومة ، بل بجدوى وجود المقاومة ، والعمسك الفدائي ، ككل .. وان هذه المسألة من الخطورة بحيث مرت - كعبه دفيقة التخطيط والصنع - على العديد من الادياء ، بل ومن الدول العربية !.. دون ان تشير تساؤلا كبيرا من الناحية الايجابية الا بعد ازمة لبنان مع منظمات العمل الفدائي ..

ان اعلامية الصهاينة ، تركز - في الجانب النفسي - ضمن ما تركز ، على ابقاء حالة التشكيك وغياب الثقة ، وخلق عنصر الريبة . في كل قلب عربي ، ولكل فئة ، وجهاز ونظام حكم .. لكي تظل قوانا الاعلامية والعسكرية (الشعبية والرسمية) تتضارب وتكيل التهم الى بعضها البعض .. وبالتالي ، لكيما يظل العرب غرباء عن بعضهم .. ويمكن - بعد فرقتهم نهائيا - ضربهم بسهولة .. ولقد تحقق تطبيق جزء من خطة العدو بشكل او باخر في الخامس من حزيران وبعده ،

ولوقت قصير ، عبر « الجسور العفوية » و« الواعية ! » لتمرير هذه المسائل .. ومنها الموقف من شعراء الارض المحتلة في مهرجان صوفيا .. وفي الرأي العام العالمي ..

ولم يأخذ هؤلاء بعين الاعتبار ان الغاية التي من اجلها سافروا شعراء الارض المحتلة هي جزء مما يسمعون اليه لصنع تاريخ فلسطين الجديدة .. ومع ذلك ، فهم لم يتحدثوا عن فدوى طوقان ولم يشككوا في جواز الصهاينة معها ، لانها فدوى .. بل ولان الهوية الفكرية هي « بعض » ما يشير حفيظة « البعض » في الوطن العربي ..

- ٧ -

ان المهمة الاساسية التي تواجه شعراء الارض المحتلة ، بل كل الكتاب التقدميين هي مسألة العمل للاسهام بصنع التاريخ الجديد لوطننا العربي ، « فالانسان ، الانسان الواقعي ، الانسان الحي ، انما هو الذي يعمل ويمتلك ، ويناضل كما يقول ماركس في « العائسة المقدسة » اذ ليس « التاريخ هو الذي يستخدم الانسان لبيد » بل « ان التاريخ ليس الا نشاط الانسان متابعا غاياته .. »

واظن ان الذين يسيئون لشعراء الارض المحتلة ، يدركون جيدا فولة انجز التي استفاهنا من هيجل «: الحرية هي معرفة الضرورة » والتي اغناها ماركس بقوله «: الحرية هي الوعي الذي يجتازه الانسان عن ذاته في عنصر الممارسة ، اي هي المعرفة التي يمتلكها انسان عن اخر بوصفه مساويا له .. » (١٢) .. وان - هذا الوعي - قد تحقق لدى شعراء الارض المحتلة - كمناضلين - استطاعوا عبر « عنصر الممارسة » ان يحققوا لانفسهم « الحرية » .. فهم « احرار » مع انهم سجناء الاحتلال الصهيوني ..

لذا فإزاء موضوع الحرية ، نجد « ان - وحدة الاخرين - الحية المحسوسة ، اولئك الاخرين الذين يؤلف كل منهم تجاهه غيره مركزا لا ينضب من الثراء والتساؤل هي الواقع الاساس ، حقا ، فما يملك فرد او شخص - في منظور الانسية الماركسية - ان يكتمل تفتحها الا اذا هو انغمس فيها وتلقى منها الحرارة والحياة ، ولكننا لا نستطيع في اية لحظة ان ننسى علاقات الاستقلال والاضطهاد ، مع كل ما تولده من صور « الالينة في كل نظام طبقي » هي التي تحول دون هذا التواصل الانساني والكفاح ضد هذه العوائق هو هدفنا الاول كمناضلين» - كما يقول روجيه غارودي - فان « علاقة الانسان الفاعلة مع ذاته - يقول ماركس - ليست قابلة للتحقيق الا اذا هو استخدم فعلا ، كل قواه النوعية ، وهذا بدوره لا يستطيع الا بعمل البشر الجماعي ، الا كنتيجة للتاريخ .. » (١٣)

فمسألة حرية الشاعر ، كفنان ، لا تنفصل عن نضاله ، وان «علاقة الانسان مع ذاته » ومع « الاخرين » هي بمقدار فاعليته النوعية ، بالآخرين وبالمسار التاريخي ضمن عملية البشر الجماعية لصنع التاريخ ..

وما فعله شعراء الارض المحتلة ، كان تفهما عميقا لشروط حريتهم الذاتية ، حريتهم الداخلية ، وكرفص واضح ، لسجنهم الخارجي ، والصف الذي يلاقون ..

فالحرية ، هنا تكتسب بعدا اعمق ، من الفهم « التحرري » .. ولقد كانت فدوى طوقان ، حرة حتى النخاع . حين اجابت بموضوعة ووضوح ، على أسئلة الصهاينة ابان محاورتهم لها .. كذلك كانت حرية درويش وصحبه ، عميقة وذات دلالة ، رغم كل « اشكال » العسف والاضطهاد الموجه ضدهم في « شكل » تقربهم بمنحهم جواز السفر الاسراييلي !

اذن « فمعرفة الضرورة » ، ما فعله شعراء الارض المحتلة ، بوعي خاص . تعميقا لانسانيتهم وخطهم النضالي الواضح ..

مصر - أصبحت موضوع الساعة ، لان اكثر من تأكيد يؤيد ما يذهب اليه بعض الاخوة الادباء - في مصر - حول هذه المسألة ..
انهم يتذرعون بعدم وصول نتاجات الادباء العرب في البلدان العربية الاخرى لهم .. والى غير ذلك مما كتب وقيل ..
اننا في الواقع لسنا ضد الروح المصرية ، لكننا ضد ان تتحول الى روح اقليمية ضيقة ، بمعنى ان ما لا ترضى عليه مصر - فهي السياسة والادب - ليس عربيا ، او ليس ثوريا .. ولا مقابلا ! ..
لذا ليس غريبا ، قطعاً ، ان نجد السخرية والتشكيك بالعمل الفدائي تحت غطاء كلمات المديح المتناثرة هنا وهناك في حديث الكاتب شكري حيث قال : ان « الذين ساروا تحت العلم الاسرائيلي في مهرجان صوفيا .. » .. « لا تتحدد نقطة انطلاقهم من المقاومة التحريرية الشاملة للوجود اليهودي ، وانما من المعارضة التامة للدولة الصهيونية » وقد نتساءل :

اولاً : لماذا من « الوجود اليهودي » وليس من « الوجود الصهيوني »؟
ونجيب : بان العقلية التي اساءت للمعركة واضعفتها وسببت النكسة هي عقلية الخلل اللاعلمي والتعصبي بين اليهودية والصهيونية وهي عقلية اجهزة الاعلام - الانفعالية - التي خدمت وفقتها لفة « نرهميم في البحر » - اسرائيل والصهيونية العالمية ، كثيراً ، خاصة على مستوى الرأي العام العالمي .

ثم .. ثانياً : ان كل قوى المقاومة - رغم تعدد جبهاتها - لا تنفي - الان - ان نقطة الانطلاق هي ليست في محو اليهودية بل في ازالة خطر وهيمنة الصهيونية ووجودها ، كوجود استعماري في الارض المحتلة .. واطن ان مناقشات مؤتمر نصر الشعوب العربية الثاني، المنعقد في القاهرة ، ليست بعيدة عن الذهن ..

ثم .. ثالثاً : اننا نعتقد - كما اكدنا مراراً - (١٤) : « انه عبر فهم ابعاد القضية الفلسطينية تنمو ابعاد القضايا الوطنية الملحة للطبيعة الديناميكية التي تمتاز بها المرحلة الراهنة في الوطن العربي، وللمناخ الثوري المساعد والدافع لكل صعود جماهيري تحرري ، يدفع المسيرة التحررية العربية الطافرة نحو الافضل .. اذ ان من الحقايا الواقع العربي نوعية الانظمة الاجتماعية ، وقضية الوطنية الوحدة النضالية التقدمية والاتحادات العسكرية ، الثنائيه . الخ - وتنظيم قوى الثورة لتكوين موقف عربي موحد ومواجه وتماسك ، للاسهام في انتزاع الارض المفتصبة وتحرير فلسطين المحتلة ، وازالة اسرائيل كوجود استعماري صهيوني ، استيطاني وتوسعي وعدواني .. وازالة كافة نوابه في بنية المجتمع الحالي . على الارض المحتلة .. وهذا كله لن يتم دون تطهير أرضنا العربية من بقايا انظمة الاقطاع والاستعمار والقواعد الاجنبية والبيروقراطيات ، والديكتاتوريه والتنظيمات والعقليات التي تمنح قوتها لكل الحكومات ، دون تمييز، ودون ان تتحول نوعياً عن مواقفها السابقة !

ورابعاً : - ان « الاتفاق الجديدة لثورة فلسطين » والتي شخصت اهتمامات الرأي العام العالمي الذي راح يتابع - ابعاد الثورة - بعد الخامس من حزيران ، بما نشهده الارض المحتلة وجبهة العمل الفدائي بكل اجنحتها ، من بدايات مكثفة لنضال تحرري عنيد .. هو الذي فتح عيون الرأي العام العالمي ، وكذلك ايضا الكتاب العرب ! .. اما قبل « العدوان الاخير ! » فقد كانت « الاسكالك » الرسمية للممثل الدبلوماسي وغوغائية الاعلام العربي ، واقليمية وضيق افق المتحدثين عن فلسطين رسمياً - كاشقيري - ورجعية العقول الكثيرة المتحكمة بهذا القطاع الوطني او ذاك .. دفعت باسرائيل لتعجل بعدوانها - ليس الاخير - في ه حزيران ! نتحقق بدغم من قيادة الامبريالية العالمية، المعادلة السياسية الجديدة للوضع العربي - الاسرائيلي :
ازالة آثار العدوان - فقط - كمقابل للاعتراف باسرائيل كوجود صهيوني استعماري قائم لاحتلال السلم في منطقة الشرق الاوسط .

- التتمة - على الصفحة - ٨٢ -

اما الكلام عن « المعجزة » الشعرية : « معجزة المقاومة العربية » كتعويض عن غياب « المعجزة الحقيقية » « معجزة المقاومة المسلحة » - سابقاً - فهي تسقط أيضاً ، في نفس التخبط الخاطيء في فهم طبيعة النضال على الارض العربية المحتلة « مع تعدد جبهاتها » اذ يبدو من كلام الاستاذ غالي .. انه لا يريد ان يوجد - مقاومة مسلحة - قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ . وكان احداث بور سعيد عام ٥٦ وبطولات الجزائر عبر المليون شهيد ، واليمن والعراق وسوريا (ولبنان ٥٨) .. وهي احداث قريبة للذهن .. لا تدرج ضمن - معجزة المقاومة المسلحة - ..

ولكون معجزة المقاومة لم تدرس - كما يجب - من قبل نقساذ الادب والسياسة ، في العهود الماضية كلها .. فلا يعني انها لم تتغير نوعاً نحو الافضل ، اما من حيث المضمون فالكتاب الفاضل قد يتجاهل ان هذا الادب الذي « لم يتغير نوعياً ، بعد الهزيمة ، مع ان الاسماع قد عرفته قبل الهزيمة الاخيرة بسنوات » - على حد تعبيره - قد تغير بعمق .. فلو راجعنا الدواوين والقصائد المنشورة لمحمود درويش والقاسم وزباد والآخرين .. في جريدة « الاتحاد » ومطبوعات جبهة « الارض » ثم في مجلة « الجديد » وغيرها .. ثم بعد ذلك فيما وصلنا من دواوينهم .. بشكل متواز مع سعة العمل الفدائي ونبيلور فكر ومنهج اغلب اتجاهاته .. والتغير النوعي الذي طرأ على قيادات العمل الفدائي .. لوجدنا اكثر من دليل يؤكد صحة ما ذهبنا اليه ..

ومع ان قصائد شعراء الارض المحتلة اعتمدت النظرة الماركسية للحياة . فهي لم تغل من نقاط ضعف وهنات في التقنية ، والوحدة الموضوعية ، وبناء القصيدة عموماً ، لكن بوفيق زياد في شفافية صوره ، وكثافة قصائده ، وخاصة ديوانه الاخير « - ادفنوا امواتكم .. وانهبوا » الذي يعتمد دراسة الظواهر الحياتية ، في بساطة وتلقائية ونتاجم متشاقق مع المعنى دون افتعال .. اوجد توازناً في التطور النوعي لقصيدة الفعل الثوري .. السى جانب قصيدة « الحبيبة والوطن » لدى درويش و« الامة » لدى سميح القاسم ..

ويمكن ان نطرح فدوى طوقان كمثال آخر - كما قلنا - في بعض قصائد « امام الباب المغلق » و« الليل والفرسان » فهي رغم كونها غير ماركسية التفكير والمنهج ، فقد تحولت من موقع النواح والحزن المغلق على الذات الى مواقع التحدي وتصوير البطولات عبر شخص فدايية ، ثورية كما في قصيدة « حمزه .. » وغيرها ..

لكن « المعجزة » ان تتحقق الا بالافعال الثورية ، لا بالالفاظ الثورية ، وان « المعجزة » هي من صنع الجماهير العربية المناضلة والمنظمة تنظيمياً واعياً وتماسكاً ، والتي تتسلح بالنظرية الثورية، وتتخطى مواقع الماضي وسلبياته ، والاطر الرسمية والفوقية للعمل النضالي .

ان الجماهير ، في كل قطاعاتها الفكرية والعسكرية ، هي صانعة المعجزات .. وان التاريخ لن يفر من يجزى المسألة ويفصلها عن ظواهر الحياة والمجتمع والتاريخ ..

ان نجاهل صيغة الابداع في شعر المقاومة ، ثم نتجاهل صيغة الثورة في مضمونه ، يدفنا الى القول بان الناقد غالي شكري لا يعتبر الادب المقاوم ثوريا ، الا من خلال ما تقع عليه عيناه .. انه يمجد معين بيسيسو - رغم احترامنا لشعره وتحفظنا من بعض تصريحاته - شاعراً ثوريا ، لانه عاش في مصر .. ويعتبر فدوى شاعرة مقاومة منذ البدء لانها عاشت - كما عاشت المرحومة سميرة عزام - قريبة الى الذهن المصري - في النقد والحياة ..
وهذه الاقليمية في الرؤية الى الادب والادباء العرب - من غير

– تنمة – وجهة نظر –

– تنمة – المنشور على الصفحة – ٤٦ –

ومن هنا تنشأ خطورة الدعوة لازالة آثار العدوان . فقط ، كتكتيك
وإستراتيجية في نفس الوقت ..

لذا فان هذه المساعي التي تتحقق في الدعوة هنا وهناك «لإزالة
انثارالعدوان» نصبب افق التحول الأخرى ،وشكك بقدرة كل المناضلين،
وتتخوف من الشيوعيينداخل وخارج فلسطين المحتلة . ونحاول ان
نطمس معالم الثورة الفلسطينية والنضال في منطقة الشرق الاوسط،
كجزء من النضال العالمي التحرري ، وكهوف ثوري صد قاعدة من قواعد
الامبريالية العالمية ..

ان شعر المقاومة في الارض المحتلة ، قد استوعب هذه الابعاد،
وعبر عنها – بالصورة والكلمة – وهو غير ملزم بان يطرح – عبر
الشعر – مقالة سياسية .. لكنه يطرح هدفا سياسيا بصيغة شعرية..
في الشعر ، كما في النثر . وكما في معارك الكفاح المسلح .
لا يمكن ابعاد روح التضحية والفداء وفصلها عن التلاحم الثوري
بين قوى الثورة على ارضها العربية ،وبين قوى الثورة العالمية ،
جميعا .

والشعر الفدائي الثوري ، حيث يكون الشعر كأداة تغيير قد
ارتبط عبر شعر وشعراء الارض المحتلة والشعراء العرب الثوريين .
في كل مكان .. بالقضية الفلسطينية ، آتيا . ليوسع ابعاد التحرك
من خلال ابعاد تناول وآنيته ..

لذا فان عقلية التشكك بشعراء الارض المحتلة ، هي عقلية تقف
مع اليمين . وتنتقل من مواقع مغالطة عناصر الانتهازية الفكرية ،
والتجارة بالفكر التقدمي لافراغه من محتواه الثوري ..

وهذه الازدواجية ، سنسقط عند هوامش امجاد شعراء الارض
المحتلة ، ان لم تكن سقطت منذ حين ، ان هذه الازدواجية ، تسقط ..
بسبب كون الناقد الذي لا يناقش فنية القصيدة الشعرية ،ومحتواها
وعوامل التطور في شعر المقاومة العربية ، ولا يناقش – دون عطف
او عاطفة – مدى السيطرة على اللغة ونجاح تناول الحدث الشعري،
والوحدة العضوية في القصيدة . ومعطيات القصيدة الفدائية،
وتأثيرات التراث والتجديد وحركة الشعر العالمي على بناء القصيدة ،
والمدى الذي بلغه شعراء الارض المحتلة تقنيا ، ومدى تأثير كل ذلك في
حركة الشعر العربي – عموما – أخذاً وعطاء .. ثم الشخصية الشعرية
وخصوصية الشاعر ، ابعادها ، نضجها ، تاريخيتها ، عصريتها ،
فكرها وموقعها الايديولوجي .. الخ ..

هذه الجوانب وغيرها من واجب الناقد الموضوعي المتخصص ان
يبحثها لا ان يجزل الشاء لهذا الشاعر او ذاك دون وعي تمام لمضامين
نتاجه وحركته ضمن مجموع الفكر المقاوم ..

اننا نطلب من الناقد ان يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين ، والا
يضيف على نفسه امجادا نورية هي فوق الحقيقة .. لان ذلك سيؤدي
به الى ان يجامل ، على حساب الموضوعية ، هذا النهج او ذاك ..
لذا فحين يؤكد الاستاذ شكري « مجاملا ومسيئا » – باعتقادنا –
في ذات الوقت ، بهذه الصيغة :

« .. وفي حدود هذا المعنى للمقاومة لن نفع في اللبس الذي
وقع فيه كثيرون حين اهتموا محمود درويش بالنحل من الوجدان
العربي في دفاعه عن الاكرد ، وانهام سميح القاسم بالذبذبة السياسية
في انتمائه ومعارضته للحزب الشيوعي .. » .. نقول : حين يؤكد
الاستاذ غالبي شكري على هذه الصيغة ، فهو يحاول ان ينفي عنه نهمة
الاتهام ، بتأييدها ..

ومع ذلك لنناقش هذه المسألة .. اذ ماذا يعني دفاع درويش عن
الاكرد ؟

الا يعني تعميق اصالة الوجدان العربي لدى الشاعر .. دفاعه عن
القوميات الاخرى ؟

ثم ان الاكرد شعب عاش معنا ، عبر تاريخ طويل مشترك ، من
الافراح والمآسي .. وليس من المصلحة الوطنية ولا القومية ، الا يظل
هذا الشعب يردد شقيقه الشعب العربي بالنضال الكفاحي على مسر
السنين ، لكيما تظل وحدة الموقف الانساني والمصير المشترك ، تدفع
بالعمل نحو افضل السبل لخلق الاتحاد المنكافي بين الشعبين ..
وعندنا في العراق – مثلا – تطرح المسألة الكردية نفسها بشكل
ملتهب منذ سنوات ، وهي تواجهنا كمشكلة معقدة ومزمنة ليل نهار ..

كما واجهت مشكلة الجنوب الثوار في السودان ..
ونحن نظل الى جانب تمتع الشعب الكردي بكامل حقوقه القومية
المشروعة وبضمنها الحكم الذاتي في نطاق الجمهورية العراقية ، كما
نظل نعتقد ان الحل الديمقراطي السلمي للمشكلة الكردية ، هو الطريق
الاصوب لانهاء الافتتال بين الاخوة وتفاذي التضحيات والخسائر في
الاموال والارواح .. وان حل المشكلة الكردية ، سلميا ، سوف يقطع
الطريق على القوى الامبريالية والرجعية والعميلة التي تستفيد من
اشغال الجيش العراقي من ممارسة دوره القومي ، على جبهات النضال
ضد قوى العدوان .. ، كما يجب ، .. من ثم فان حل المشكلة الكردية،
يدفع بمساهمة الاشقاء الاكرد في المعركة ضد الامبريالية واسرائيل ،
كخطر يهدد استقلال وأمن المنطقة ، ومن اجل تصفية المواقع الاستعمارية،
ودعم الانظمة التقدمية ، .. الخ ..

وقد يتوصل مؤتمروطني لكل القوى الوطنية (الحزبية والمستقلة)
عربا واكردا لحل هذه المشكلة ، وعزل كل القوى الرجعية والمتأمرة
التي تحاول الاستفادة من بقاء المشكلة دون حل ..

وهذه المشكلة نواجه عندنا بحلول واجتهادات عديدة ، وقد تواجه
بفهم خاطيء لـ « شكل » الحل الذي يحقق الاستقرار والوحدة الوطنية
للعراق ، وتحشيد كل القوى العسكرية والشعبية الى المعركة ..
فهل الدفاع عن المسألة الكردية ، او قضايا الافارقة والزوج ،
وكل القوميات والاجناس والديانات لكي يتحقق لها كامل حقوقها
المشروعة ، « ضعف في الوجدان العربي » او العكس .. اذ انها تعميق
لاصالة هذا الوجدان وتخط لتعصب القومي والنظرة الشوفينية
والاقليلية الضيقة ؟ ..

ثم ان موقف سميح القاسم من الحزب الشيوعي ، هو موقف
تنظيمي بحث .. فهل يدان القاسم لانه عارض بعض مسائل الحزب في
التاكتيك او الاستراتيجية ؟

كلا .. بالطبع .. ان لم تكن « المعارضة » قد أخذت « شكل »
العداء للفكر الانساني ، وهذا ما لم يحدث .. بالتأكيد ..

ومن المعلوم ان الصراع الداخلي في الحزب الثوري ، هو ظاهرة
عافية ، والحزب الماركسي – اللينيني الذي يخلو من صراع ، هو حزب
خامل ، وهذا يعني محدودية فاعليته على ارض الواقع والنضال ..
وما دام الحزب الثوري يحاول تطبيق نظريته الثورية على الواقع ، فهو
يحتاج الى وعي خاص لاغتناء نظريته بالواقع ، والعكس صحيح ..

اذ ان النظرية الماركسية هي « النظرية المستخلصة من الواقع
الموضوعي والمعبرة عنه .. » ومن هنا « فلا عمل بلا خطأ .. » والحزب
الذي لا تحدث فيه مثل هذه الملاحظات او الاخطاء او الصراع .. يعني
انه حزب بلا عمل حقيقي .. وهو وجود غير فعال ، وغير مجد ..

واحيانا قد يتنازم الصراع ، ليس لحد خروج هذا العضو او ذاك ،
عن التنظيم بل قد يتفجر الى انقسامات وانشقاقات بسبب مسائل
جوهرية .. مع ان هذه الحالة (حالة عدم امكانية اسمرار وحدة
التنظيم ، ووحدة العمل ، ووحدة الفكر) هي حالة عجز لدى القيادة عن
حل التناقضات داخليا ، وتحويل الصراع الى اداة فعالة لتطوير الحزب
وتتمين وحدته التنظيمية ، وتطوير قدراته الفكرية ، وتنقية رؤاه
الثورية .. الخ .

واري ، انه ، لتتصارع الاجتهادات حول الموقف من القضية الفلسطينية والعمل الفدائي ، مثلا ، او من اجل شكل ومضمون السلطة في الارض المحتلة ، او من الوجود الصهيوني الاستعماري ككل .. او من ازالة آثار العدوان كبدل لحل ازمته الشرق الاوسط ، او ازالة اسرائيل كوجود صهيوني - امريالي .. او حول هوية العمل الفدائي والايديولوجية التي يجب او لا يجب ان يختطها .. الخ .. الخ .. اني اري ان دراسة هذه الظاهرة ، سيوصل كل المناضلين الى نتائج ايجابية ، وحلول اكثر موضوعية ، وامانة لمعادلة القضية الفلسطينية .. على ان لا يصل الصراع لدرجة تهديد وحدة المنظمة الثورية واضعافها .. ولا اجد ان في موقف سميح القاسم - كشيوعي - من الحزب ، اي ذبذبة سياسية .. فهو رغم معارضته لم يقف فسي الصف المعادي للحزب ولا للنظرية ولا لقضية فلسطين العادلة ، بالاساس ، وهذا هو المهم .

وختاما اري ان هذه المسائل بمجملها لا يمكن ان تخفي حقيقة وجود شعر مقاوم في الارض المحتلة وخارجها .. ومن الضروري الاهتمام به وتطويره ، عبر نقد موضوعي ، وملاحظه دائمة لما ينتج من قبل شعراء الارض المحتلة .. من ثم ترجمته ، ليسهم ، عالما ، في تعميق قناعة الراي العام العالمي بانسانية وعدالة قضيتنا في فلسطين ..

محمد الجزائري

بفداد

هوامش :

(١) و (٢) و (٣) تريستان تزارا : من مواليد رومانيا ١٨٩٦ ، وهو مؤسس الحركة الدادية في الشعر عام ١٩١٦ في زيورخ ، وقد عمل مع السرياليين بعد سنة ١٩٢٨ ، ثم انضم الى الحزب الشيوعي الفرنسي مع اراغون وايلوار - ابان المقاومة الفرنسية ، توفي في باريس عام ١٩٦٣ ، والترجمة والمقتطفات من دراسة كتبها تزارا نفسه عن الشعر

وتجربته ترجمها عن الفرنسية السيد فاضل عباس هادي .. مجلة الشهر ٦٩ العدد الرابع السنة الاولى ص ٤٢ .

(٤) و (٥) ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية : غالي شكري ، مجلة الآداب - تموز ١٩٦٩ ص ٢٨ والردود التي تأتي عليها المناقشة هي على هذا الموضوع بالذات الذي عرضته الآداب للمناقشة ، وتأخر رسالي الموضوع للنشر لاسباب فاهرة ..

(٦) لنا بحث بهذا الصدد هو فصل من كتابنا « مسائل في الادب والانسان » الموجود في بيروت ، الآن ، تحت الطبع ..

(٧) و (١٠) روجيه غارودي : ماركسية القرن العشرين - منشورات دار الآداب ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٨) و (٩) الاضافات من قبلي .

(١١) حين جاء هيجل - ومن بعده ماركس، الذي كان في مطلع حياته آنذاك ، فطورا فكرة « التفريب » من الناحية الفلسفية ، فالأ : ان بداية تفريب الانسان تنشأ من انفصاله عن الطبيعة عن طريق العمل والانتاج ، ومع ازدياد قدرة الانسان على السيطرة على الطبيعة ، وعلى تحويل العالم المحيط به ، نجده يواجه نفسه كشخص غريب ، اذ يجد نفسه محاطا باشياء هي من نتاج عمله لكنها مع ذلك تتجه الى تخطي حدود سيطرته وتكتسب في ذاتها قوة متزايدة (الاشتراكية والفن : آرنست فيشر ص ١٢٢ - عن الفرية) ولنا دراسة مطولة عن « الاغتراب في الادب والحياة » موضوع بحث خاص نحن بصدد نشرها بعد انجازها لاستكمال الفائدة ..

(١٢) كارل ماركس : (العائلة المقدسة) .

(١٣) كارل ماركس : (مخطوطات ١٨٤٤) .

(١٤) راجع مقالاتنا في الآداب اعداد ايلول ١٩٦٧ واذار ونيسان وتموز ١٩٦٧ واذار ١٩٦٩ و « الثقافة الجديدة » العدد الاول - بفداد ١٩٦٩ .. وفي كتابنا المشار اليه اعلاه تفاصيل اوفى بهذا الصدد .

« نحو ثورة ثقافية عربية »

في مطلع نيسان (ابريل ١٩٧٠ ، تصدر «الآداب» عددها السنوي الممتاز الذي يشارك في تحريره نخبة من الادباء العرب ، معالجين مختلف الموضوعات المتنبئة بالدعوة الى ثورة ثقافية عربية شاملة في السياسة والفلسفة والدين واللغة والادب والاجتماع والاقتصاد . وستتناول هذه الابحاث بصورة خاصة واقع الادب العربي الحديث ، بمختلف الوانه وفنونه ، ومستقبله المرجو ، وسيكون لادب الشباب قسط وافر من هذه الابحاث .

والباب مفتوح لجميع المفكرين والباحثين والنقاد والادباء ممن لا تستطيع المجلة ان تتصل بهم ، للمشاركة في تحرير هذا العدد الممتاز ، على الا تتأخر المادة المرسله عن آخر شباط (فبراير) ١٩٧٠ .